إن فاتني التمتع بالطيف في الكرى   في يقظتي حظيت بأضعاف ما أريد
قال مؤلف هذا الديوان واخبرني من أثق به من الشيوخ انه قرأ في
كتاب مهتدي الفرق للإمام فخر الدين الرازي قصيدة مربعة من مربع الرجز
كل اربعة سطور منها على قافية للشيخ مدرك بن علي الشيباني المغربي
وذكر الإمام فخر الدين انها جمعت سائر عبادات النصارى ومواقيتهم وقرابينهم
واسماء اكابرهم وشيوخ طريقتهم وكان موجب نظمها ان الشيخ مدرك
كان من أفاضل اهل الغرب والمتقنين في العلوم المطبوعين في نظم
الشعر وكان ببغداد يقرى في الآداب وله مجلس بمحلة دار الروم
لا يقرأ به سوى الاحداث وكان بينهم عمرو بن روحانا النصراني وكان
من احسن اهل زمانه واسلمهم طباعاً فهام به الشيخ مدرك وعشقاً
ولم يستحسن مواجهته فكتب رقعة وطرحها في حجره وكان فيها

بمجالس العلم التي   بك تم جمع جموعها
الا رثيت لمقلة   غرقت بماء دموعها
بيني وبينك حرمة   الله في تضييعها

فلما قرأ عمرو الابيات استحى وخاف أهله وعلم بها من بالمجلس
فانقطع عن مجلسه فاشتد الشيخ البلا فترك المجلس والاشتغال
ونظم هذه القصيدة ومرض مرضة شديدة

ووجد في كتاب فيه اخبار الشيخ مدرك انه لما اشتد به المرض
اتصل خبره بقاضي القضاة ببغداد وهو يومئذ ابو القسم بن المحسن
بن ابي الفهم التنوخي واصله من المعرة وهو ممدوح ابي العلاء المعري
فشق عليه ذلك وقال لمن حضره إن كان موت هذا الرجل
ديناً فلحياته لمروة ثم احضر الغلام وجبره على عيادة الشيخ
المرقوم فعاده وقال له كيف حالك فقال   شعر

انا في عافية الا من الشوق اليك   ايها العائد ما بي منك لا يخفى عليك
لا تعد جسماً وعد قلباً رهيناً في يديك   كيف لا يهلك مرشوق بسهمي مقلتيك

ثم شهق شهقة فمات
قال الراوي حسان بن محمد بن عيسى بن شيخ . فما برحت من عنده
حتى غسلته ودفنته   وكانت هذه القصيدة سائبة اللزوم
لا ارجوزة مطلقة ولا مسمطة بشرايط التسميط اذ شرطه على
رأي الخليل ومن تابعه ان تكون الثلثة اغصان على قافية
بمفردها ويكون الرابع على قافية تبنى عليها القصيدة جميع أبياتها
وترجع اليها ومثل عليها بقول ابن الحريري
ايا من يدعي الفهم   الى كم يا أخا الوهم   تعبي الذنب والذم   وتخطي الخطأ الجم
فانه حيث كان بناء المصراع الرابع على قافية الميم لم يفارقه الى آخر

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)